الأنباء
السبت 28 فبراير 2015

صاحب البصيرة

بقلم: يوسف عبدالرحمن
y.abdul@alanba.com.kw

أي والله مـا كذبت، الكويت تحبه وتترحـم عليه جيلا بعد جيل..

نعـم.. يا رب الأرباب (لكل أجل كتـاب) لا راد لقضائك ولا مقدر لآجالك لك الخلق ولك الأمر، خلقت الموت والحياة لتبلونا أينا أحسـن عملا، لا إله إلا أنت تفعل ما تشـاء وتحكم ما تريد ولك الحمد على ما قضيت وما أعطيت، نحن الشـعب الكويتي نحب هذا الشـيخ حكاما ومحكومين لأنه طراز فريد من علماء هذا الزمان الذين رحلوا بمواقفهم وعلمهم وأخلاقهم وسيرتهم ولأنـه نجم أفل. بعد أن قـال فتواه دون خوف وبلا تردد رغم الحرب الشعواء التي مارسها الدعاة الرمم لا القمم.

نعم.. وأقولها (جهارا نهارا) الشعب الكويتي من جيلي المخضرم يحبونـه، قال فتوى عجيبة في زمانه وخالف أعدادا كبيرة من علماء زمانه حولنا وقالها بكل صراحة وثقة: نعم يجوز الاستعانة بغير المسلم لقتال الكفار عند الضرورة ولا حرج في ذلك بالأدلة الشـرعية من الكتاب والسنّة، وكان يقول رحمه الله: الله يعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف.. وقد صدق وأفلح.

نال هجوما شرسا من مشارق الأرض ومغاربها ولم يتزحزح عـن فتواه دون خوف أو تردد وظـل صامتا حتى ظهر للناس أجمعين بعد نظره بعدما أقدم صدام حسين على «غزو الخفجي» «مسـتمرا ومتعاليا» لتحقيق أهدافه التي تلقت من فتاوى ابن باز ضربة موجعة لوقوف العالم كله ضد هذا الاحتلال العراقي الجائر! لهذا سمي بالعالم المتفرد والعالم الرباني والعالم المجاهد والإمام الجليل وفقيد الأمة. وقال الشاعر:

بـادر بعلـم ولا تطلـب بـه بدلا
فالنـاس موتى وأهـل العلم أحياء

إنه الشـيخ المفضال عبدالعزيـز بن باز ـ رحمه الله ـ الذي يستحق لقب «عالم رباني» وإمام السنة والجماعة في زمانه بجدارة لأنه يملك من الصفات والسمات التي أهلته ليكون بذكائه وحكمته وعلمه وخلقه رغم فقده بصره صاحب بصر وبصيرة.

قال فضيلة الشـيخ سـعود بن ابراهيم بن محمد الشريم إمام وخطيب المسجد الحرام قصيدة رائعة طويلة بعنوان: وبل الحجاز على ضريح الفقيد ابن باز يقول:

عفا الإمـام ولـم تخبُ مآثره
عبدالعزيز وهل يخفى لنا القمر؟!
شيخ العلوم ابو الأشياخ مجتهد
فـذ أريـب نجيـب وصفـه درر

هو عالم بارز وأستاذ جيل ومثال يحتذى وإمام متبحر..

الاستراحة هذا الأسبوع تطوف بكم عبر محطات منتقاة من حياة هذا الشيخ الذي تحبه الكويت ولسان حالها يقول:

فارفع لنفسك قبل موتك ذكرها
فالذكـر للإنسـان عمـر ثـان

عندمـا توفي قدمت الكويت التعازي بـه عبر مبعوثين إلى خادم الحرمين وأعتبرت وفاته خسـارة كبيـرة للأمة العربية والإسلامية.

الكويتيون نعوه وترحموا عليه لأنهم يدينون له بموقف شامخ وفتـوى صحيحة في محلها أثبتـت الأيام بعد نظره وتمخض عنها تحرير الكويت.

«الاستراحة» تُعرّف الجيل الحالي من مستخدمي التواصل الاجتماعي في «التويتر ـ الفيسبوك ـ الانستغرام» بشيخ «أمة في رجل» ونموذج للمشـايخ القمـم لا الرمم.. ويكفي أن نعلم أنـه لم يتغد مع أهله طيلة 50 عاما وآثر أن يأكل مع المسـاكين والفقراء، ومن منا يفعل هذا الأمر العظيم؟!

«الاستراحة» تعرض لكم مثالا حيا لتطبيق المسلم المتوازن بعيدا عن البدع والشـرك والخرافات.. شـيخا وجه رسالة إلى الكويتيين في يوم التحرير قال فيها: نحمد الله لكم ان يسر لكم تحرير بلادكم وشـكر من وقف معنا في محنتنا لردع العدوان وطلب ان نشـكر الله على نعمته العظيمة بتحرير الكويت من الظالم المعتدي وأن نتناصح ونتعاون على البر والتقوى.. وقد أحسن الرجل.

اليوم أعرض لكم الشيخ الذي يفتح بيته للجميع من الضيوف يجالسهم ويجيب عن أسئلتهم..

صـرح وقال إن غـزو العراق للكويت أحزنـه وان المقبور صدام كافر وان البعث أخطر على المسلمين من دولة النصارى، ولن ننسـى كشعب كويتي رسالته المؤثرة التي بعثها الى اهالي الشـهداء في الكويت يصبرهم ويبارك لهم نيل ابنائهم الجهاد في سبيل الله ونيلهم الشهادة.

«الاستراحة» اليوم تعرض لكم كيف أفتى بالاستعانة بغير المسلم لقتال الكافر عند الضرورة؟ وكيف وجه خطابه الى الأمة الإسلامية بأن مبايعة صدام ومناصرته من أعظم الجرائم.

رجلنا في هذه الاستراحة والله داعية وعالم وقور تحبه الكويت وشعبها بكل صدق وشفافية لأنه نصرنا يوم عز الناصر ووقف معنا وكثر سقطوا في الاختبار والابتلاء ودافع عنا بثقة العالم الذي يحمل علمه مستندا الى الله عز وجل، غير آبه بكل علماء السوء والجهال الذين ناصبوه العداء وحاولوا النيل منه.

«الاسـتراحة» تقدم لكم اليوم الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن عبدالرحمن بن عبدالله آل باز مفتي الجزيرة من غير منافس ومفتي المملكة العربية السعودية منذ عام 1993 وحتى وفاته.

بقية السلف وإمام الخلف

العلم شـرف عظيم يرفع صاحبه في حياته وبعد مماته لقوله تعالى: (إنما يخشـى اللهَ من عباده العلماءُ) خاصة أولئك الذين نحسبهم «قمما» ونماذج يحتذى بها لأنهم هم السراج والضياء لنا في المدلهمات وهم العدول الثقات الذين يبينون للناس الدين الحق وهم حماة الدين والذابون عن حياضه ومن هؤلاء العلماء الذين نجلّهم سماحة الوالد المفتي الشيخ عبدالعزيز بن باز طيب الله ثراه ومثواه لأنه مرجـع كبير للعلماء والمفتين والدعاة والمشايخ في داخل وخارج المملكة العربية السعودية يوم كان في سدة الفتوى وعلى رأس عمله مفتيا للمملكة العربية السعودية الشقيقة وبفقده فقدنا «عالمـا ربانيا» لا يخاف من قولة الحق ولا يخشـى إلا الله عزّ وجلّ، عاش ومات والناس كلهم يذكرونه بالخير والعلم، ومن حبي له ألفت عنه كتابا أسميته «مفتي الجزيرة العلامة ابن باز» وقد أشـفقت على نفسي عندما كلفني العم الوالد يوسف جاسم الحجي رئيس الهيئة الخيرية الإسـلامية العالميـة حينذاك بضرورة إصدار الكتاب بناء على مقترح مني ويومها كنت مراقبا للطباعة والنشـر والصحافة في الهيئة وكانت الصعوبة عندي هي كيف أحقق مقترحي بعد الموافقة عليه «كتاب يحمل اسم الشيخ ابن باز»؟ لأنني أعرف أن طلاب علمه ومتابعيه هم في داخل المملكة العربية السـعودية وخارجها خاصة أن الكتاب عن «عالم دين» مجتهد له علمه وتاريخه. ومازلت احمد ربي ان امكنني من طباعة هـذا الكتاب القيم الذي جاء في 127 صفحة متضمنا كلمة رئيس الهيئة معالي يوسـف جاسم الحجي وسيرته الشخصية ونعي العالم الإسلامي له والمتفرقات وقد تكفل به (فاعل خير) جعل الله هذا في ميزان عمله ورحم موتاه وحفظ أهله واسرته.

اسمه ونسبه وكنيته

هو عبدالعزيز بن عبدالله بن عبدالرحمن بن محمد بن عبدالله آل باز ويكنى بأبي عبدالله ـ رحمه الله وقدّس روحه ونوّر قبره وكتبه من ورثة الفردوس الأعلى من جنة النعيم واحشرنا معه في عليين يا رب.

مولده ونشأته

ولد في الرياض في عام 1320هـ ـ 1903م وتوفي والده سـنة 1333هـ وتولت رعايته أمه السـيدة «هيا بنت عثمان بن عبدالله الخـزيم» وأعانها أخوه الأكبر من أمـه «إبراهيم بن عبدالله بن سيف» وأخوه الشقيق محمد بن عبدالله آل باز.

كان مبصرا وفقد بصره في التاسعة عشرة من عمره نتيجة مرض الجدري عام 1346هـ وتوفيت والدته وهو في سن الـ 26 عام 1356هـ وقد حفظ القرآن الكريم وكتب الحديث والعلوم الشرعية قبل أن يفقد بصره.

مشايخه

أولهم الشيخ عبدالله بن عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن ابن الشيخ محمد بن عبدالوهاب وعلّمه الأصول وكشف الشبهات والتوحيد والعقيدة الوسـطية وزاد المسـتقنع وعمدة الأحكام والأربعين النووية، ثم الشيخ محمد بن عبداللطيف بن حسـن ابن الشيخ محمد بن عبدالوهاب وعلّمه العقيدة ثم الشيخ صالح بن عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن حسن ابن الشيخ محمد بن عبدالوهاب (قاضي الرياض) ثم الشيخ سـعد بن حمد بن عتيق وكان كبيرا في السـن آنذاك وقرأ عليه مـدة وجيزة في كتب التوحيد 1347هـ ثم الشيخ حمد بن فارس (وكيل بيت المال في الريـاض) وقرأ عليه في النحو والاجرومية خاصة وكان كبيرا ضعيف الصوت، ثم الشـيخ سـعد وقاص البخاري من علماء مكة وأخذ عنه التوحيد وقرأ عليه القرآن الكريم، ثم الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبداللطيف آل الشيخ (مفتي الديار السعودية) حينذاك الذي لازمه الشيخ عبدالعزيز بن باز ـ رحمه الله ـ أكثر من غيره حوالي (عشر سـنوات 1347 ـ 1357هـ) وقد لازمه في المسجد والبيت وتلقى منه العلوم الشرعية وقد رشحه الشيخ محمد بن إبراهيم ليرأس قضاء الخرج، ثم درس على يد الشيخ محمد الشنقيطي التفسير في الحرم ما بين 1388 و1393هـ. رحمهم الله كانوا جميعا أعلاما ولا نزكي على الله أحدا.

زوجاته

تزوج شـيخنا عبدالعزيز بـن باز ـ رحمه الله ـ وعمره 24 عاما من كريمة عبدالله ابن الشيخ سليمان بن سحمان ثم تزوج من هيا بنت عبدالرحمن بن عبدالله بن عتيق وله منها: عبدالله وعبدالرحمن وثلاث بنات.

ثم تزوج من منيرة بنت عبدالرحمن الخضير عام 1386هـ من مدينة بريدة بمنطقة القصيم وله منها: د.أحمد وهو يعمل معيدا في جامعة الإمام ابن سعود الإسلامية بالرياض، وخالد في جامعة الملك سعود في الرياض وثلاث بنات.

وللشيخ من الأولاد عشرة بنين وبنات.

جائزة الملك فيصل العالمية

في سنة 1402هـ نال سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام وكانت جمعية الندوة العالمية للشباب الإسلامي والهيئة الخيرية الإسلامية العالمية وجمعية إحياء التراث الإسلامي من الجهات التي رشحته لنيل هذه الجائزة، وذلك لنشاطاته في ميادين الدعوة وإسهاماته القيّمة في البحوث والدراسات وحرصه الدائم على إيجاد حلول مناسبة لقضايا الإسلام والمسلمين ودعمه الدائم للجهاد الإسلامي في كل بقاع العالم مثلما كان موقفه من الاحتلال السوفييتي لأفغانستان والاحتلال الصربي للبوسنة والهرسك وغيرها كثير من مواقفه الشامخة.

صفاته

كان رحمه الله يتصف بصفات كثيرة من أبرزها الحلم والشفقة والكرم والتواضع والتمسك بالسنة وذكر الله والصوم والقيام، يقول ابنه د. احمد بن باز إن والده مدرسـة علمية وتربوية ربى أولاده وبناتـه على العقيدة السـليمة وحب الناس وان برنامج والده كان يبدأ منذ صلاة الفجر وكعادته يذهب ماشيا مع أبنائه وبعض مرافقيه ثم يلقي درسـا أو يستمع إلى الأسئلة ويجيب عنها، ثم يسـتقبل الوفود الرسـمية وكثيرا ما كان يصر عليهم لتناول الغداء أو العشاء معه في منزله، وكان من عادته ـ رحمه الله ـ أن يتوجـه بعـد المغرب الى مجالـس الناس وخاصتهم ويستضيفهم أحيانا ويتباسط معهم حتى حلول الأذان للعشاء، فيستمع الشيخ والمصلون لقراءة كتاب الصالحين من إمام المسجد ثم يقوم سـماحته بالتعليق والإسهاب في الشرح والتأكيد على التمسـك بالسنة وما فيها من الخير العظيم ثم يرجع الى المنزل فيتناول العشـاء مع من معه أو ضيوفه ثم يودعهم، وحتى في مرضه وأيامه الأخيرة بالطائف حاول أن يطبق برنامجه المزدحم هذا كعادته ولكنه أجهد، ومع إجهاده ومرضه رفض السـفر الى الخارج وظل يمارس النصح والفتوى ويرد على أسـئلة الهاتف النقال، ويقال إن آخر مكالمة معه كانت من أحد القضاة وأفتاه حول معاملة عن الطلاق، رحم الله شـيخنا لم يضيع الوقت واجتهد في دنياه لآخرته.

وفاته

كانت وفاته فجر يوم الخميس 27ـ1ـ1420هـ ـ 1999م وذكر نجله عبدالرحمن أن الشيخ في الساعة الرابعة والنصف صباحا داهمته وعكة صحية نقل على أثرها الى مستشـفى الملك فيصل في الطائف ولفظ أنفاسه الأخيرة على مقعد السيارة، وأدخل الى غرفة العناية المركزة ولفظ أنفاسه في تمام الساعة الخامسة فجرا. وهكذا مات شيخ العلماء وحامل هموم المسلمين الإمام القدوة.

شـيع في مقبرة العـدل بمكة المكرمة وتقـدم المصلين خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ وولي عهده الأمين الأمير عبدالله بن عبدالعزيز حينذاك، وعدد كبير من الأمراء والوزراء وطلاب العلم من الداخل والخارج وفي أول جمعة بعد وفاته أثنى إمام المسـجدين على مناقبه وفضله، ويقال إن شيخنا رحمه الله كان مصابا بسرطان المريء، لكن سبب الوفاة كان أزمة قلبية.

ولعـل من أبرز الصفات التي تذكر لهذا العالم الجليل أنه في حياته لم يهاجم أحدا وحتى في مواقفه من منتقديه وآرائه وأحكامه وفتاواه كان يرد بالقول: «هداهم الله وأرشدهم الى الطريق الصحيح» وذلك دون استرسال أو مناقشة في هذه الانتقادات.

لذا من يرجع الى جنازتـه يجد كيف تزاحمت الجموع حول الجثمان الطاهر وسط هدير بشري من المشيعين يمينا ويسارا، وقد رثته كل الجهات الإسلامية في داخل وخارج المملكة العربية السـعودية لعظيم مآثره وسيرته وجهاده وعلمه. ومازلت اذكر قصيدة د.عبدالرحمن العشماوي في رثاء الشيخ عبدالعزيز بن باز يقول:

«الشـيخ مـات» امـا لـديـك عبارة
أخـرى تعيـد بهـا اتـزان جنانـي

قصة مشهورة مكذوبة

نسمع أحيانا من يقول إن الشيخ عبدالعزيز بن باز ـ رحمه الله ـ كان يتمنـى أن يرى الابل، وهذه رواية غير صحيحة لأن أحد أكبر تلامذة الشيخ وهو الشيخ عبدالرحمن بن يوسف كتب خـلال كتابه الماتع «الإنجاز في ترجمة الإمام عبدالعزيز بن باز» ما يلي:

«هذه بعض القصص المكذوبة على سـماحته ـ رحمه الله ـ رأيت إيرادها وبيان كذبها وانها مختلقة لا أساس لها من الصدق والصحة حتى لا يغتر بها من يسمع بها من قِبَل العامة من الناس، وأنصـاف طلبة العلم، وما بلاء العالم إلا مِنْ هَؤلاء، نسـأل الله

ابن باز:

حكم الاستعانة «بغير المسلم» عند الضرورة لا حرج فيه

خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز آل سعود لدى افتتاحه معرض الشيخ عبدالعزيز بن باز في شهر رمضان من عام 1428هـ ـ 2007م

العاهل السعودي الملك فيصل بن عبدالعزيز (طيب الله ثراه ومثواه) وبجانبه العلامة الشيخ عبدالعزيز بن باز (رحمه الله)

السلامة والعافية وحسن العاقبة، وجميل الخاتمة، ثم ذكر فضيلته بعض القصص الى أن وصل الى القصة الخامسة، وهي التي نريد.

القصة الخامسة: ان شيخنا ـ رحمه الله ـ كان يتمنى أن يكون مبصرا حتى يتسنى له رؤية الابل على ما خلقها الله، وذلك امتثالا لقوله تعالى: (أفلا ينظرون الى الإبل كيف خلقت) الغاشية: 17، وقد سئل رحمه الله عن هذه القصة، فقال: هذا ليس بصحيح، فأنا أتصورها، لأن بصري لم يذهب إلا وعمري تسع عشرة سنة»، انتهى كلامه.

وختاما أيها الأحبة: ان في هذه الحادثة وهذه القصة لعظة وعبرة، فعلينا جميعا ألا نقص قصة ولا نخبر بخبر ولا نرسل رسالة الا بعد التثبت والتبين، وكما قال عز وجل:

(يأيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا...) الحجرات: 6. وكما نهانا ﷺ إذ قال: «كفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ما سمع» ـ رواه مسلم في المقدمة 5 ـ وقد قال تعالى: (.. وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب) الحشر:7.

مواقف من حياة الشيخ

● للشيخ عبدالعزيز بن باز مواقف عظيمة ـ رحمه الله ـ ومن يقرأ برقيته الى المحكمة التي أصدرت قرارا بإعدام سيد قطب يقف طويلا أمام الاستشهاد بالآيات والأحاديث في موقعها الصحيح، وأظنها الوحيدة من أنحاء العالم الإسلامي وكانت في زمن الرئيس جمال عبدالناصر.

● قالت وفاء الباز: سألت التي اتصلت للعزاء من كوسوفا كيف عرفت الشيخ ابن باز؟ قالت: كيف لا أعرفه ومصروفي من عنده؟ وعشرات ممن كان يصرف عليهم من جيبه الخاص مما يفوق راتبه رحمه الله.

● قال الشيخ محمد التركي: كان هناك شخص يعادي الشيخ ويسبه والشيخ ساكت عنه وشاء الله أن يتوفى هذا الشخص والشيخ بالحج، فلما حضر للدفن رفض الإمام الصلاة عليه فلما وصل الشيخ ابن باز ـ رحمه الله ـ غضب على الإمام غضبا شديدا ثم توجه الى قبر المتوفى وصلى عليه ودعا له بالخير.. هكذا هو ابن باز ـ رحمه الله.

● دخل افريقي مسجده رث الثياب يسأل عن الشيخ في موسم الحج فقيل له إن الشيخ في الحج، وسئل ماذا تريد؟ فقال: لا أريد شيئا ولكني مسكين والشيخ عبدالعزيز بن باز أبو المساكين.. وصدق الأفريقي.

● شيخ من بنين قال: قدمت للمملكة العربية السعودية وكانت أمنيتي زيارة البيت الحرام وأداء العمرة وزيارة سماحة الشيخ ابن باز ـ رحمه الله ـ فلما زرته سألني: من أي البلاد أنت؟ فقلت: من بنين؟ فقال أتعرف فلانا؟ فقلت: ذاك والدي، ففرح الشيخ وسألني عن أحواله ثم بدأ يسألني عن الدعاة في بنين ولم أكن اعرف بعضهم وكان والدي يذكرهم، ثم طلب مني الحضور كلما زرت الحرمين الشريفين.

● يقال إن الملك فيصل ـ رحمه الله ـ لما علم بديون الشيخ من جراء صدقاته ومساعدة الآخرين أرسل له وزير المالية آنذاك وقدم له مائة ألف ريال فلما أخبر الشيخ رفض بشدة قبول المبلغ وحاول معه الوزير وقبل بشرط أن يخصم من راتبه بمعدل ألفي ريال شهريا، فأرسل الوزير للملك فقبل بذلك وأخذ الشيخ المبلغ ـ رحمه الله.

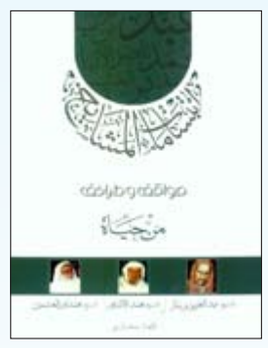

آخر الكلام

أتمنى ككويتي ان يُكرم هذا الرمز الديني على مستوى الكويت كلها بإطلاق اسمه على شارع رئيسي، وان يتم توجيه دعوة لأسرته لتكريمه على مستوى الدولة وهو أمر مستحق وواجب.

للعلماء القمم من أمثال عبدالعزيز بن باز ـ رحمه الله ـ مكانة عظيمة في نفوس المسلمين لأن هؤلاء الاعلام الأخيار هم بقايا أهل العلم يدعون من ضل الى الهدى ويصبرون على الأذى ويحيون بكتاب الله تعالى كل غافل وكل متكبر بنور الله، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه! وكم من ضال تائه قد هدوه الى الصراط المستقيم ليموت على المحجة البيضاء، فما أحسن أثرهم على الناس خاصة وهم اليوم ينفون عن كتاب الله المقدس تحريف الغالين الضالين المضلين المرتدين الملاحدة وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين. وقد طاب حيا وميتا لأنه أمة في رجل.

اقرأ وتمعن في ابيات من قصيدة العشماوي:

ماذا تقول قصائد الشعر التي
صارت بلا ثغر ولا اوزان؟
ماذا تقول عن (ابن باز) انها
ستظل عاجزة عن التبيان
ماذا تقول عن التواضع شامخا
وعن الشموخ يحاط بالإيمان؟
ماذا تقول عن السماحة والنهى
عن فقه هذا العالم الرباني؟
مات (ابن باز) للقصائد ان ترى
حزن القلوب وأدمع الأجفان
(الشيخ مات) عليه اندى رحمة
وأجل مغفرة من الرحمن

يا شيخنا ابن باز الله يرحمك، الكويت كلها في أعيادها تدعو لك، رحم الله شيخنا العزيز عبدالعزيز بن عبدالله بن باز رحمة واسعة ونفعنا بما نقل عنه من علم وكتب وفتوى ومحاضرات ومقالات وبحوث وما يتداوله الناس في المجالس والمنتديات والقنوات.

ساد الناس بعلمه وخلقه وحلمه ولو تركت لقلمي العنان لسطر كراسات اثر كراسات في فضله ومناقبه ومآثره (رحمه الله) لأنه رمز خالد لهذه الأجيال الكويتية والمسلمة، والله تعالى أعلم وأحكم، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين على قضائه وقدره. إنا لله وإنا إليه راجعون، نسأل الله ألا يخيب لنا أملا وأن يجمعنا وإياك في دار الخلد مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

في تساؤل عن حكم الاستعانة بالدول الأجنبية لقتال «حزب البعث» العراقي المحتل للكويت وعن الفتنة المصاحبة لهذا العمل قال سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز، رحمه الله، في معرض رده على تساؤل احد السائلين بتاريخ 24 من المحرم 1411هـ قال:

أولا: ما رواه مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها أن رجلا من المشركين كان معروفا بالجرأة والنجدة أدرك النبي ﷺ في مسيره إلى بدر في حرة الوبرة فقال جئت لأتبعك وأصيب معك فقال له النبي ﷺ «تؤمن بالله ورسوله» قال لا قال «ارجع فلن أستعين بمشرك» قالت ثم مضى حتى إذا كنا في الشجرة أدركه الرجل فقال له كما قال له أول مرة فقال «تؤمن بالله ورسوله» قال لا قال «ارجع فلن أستعين بمشرك» ثم لحقه في البيداء فقال مثل قوله فقال له «تؤمن بالله ورسوله» قال نعم قال «فانطلق». ا.هـ .

واحتجوا أيضا بما رواه الحاكم في صحيحه من حديث يزيد بن هارون أنبأنا مسلم بن سعيد الواسطي عن خبيب بن عبدالرحمن بن خبيب عن أبيه عن جده خبيب بن يساف قال: أتيت أنا ورجل من قومي ﷺ وهو يريد غزوا فقلت يا رسول الله إنا نستحي أن يشهد قومنا مشهدا لم نشهده معهم فقال «أسلما» فقلنا لا قال «فإنا لا نستعين بالمشركين» قال فأسلمنا وشهدنا معه ، قال الحاكم: حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، وخبيب صحابي معروف. ا.هـ .

ذكره الحافظ الزيلعي في نصب الراية ج3، ص423 ثم قال: ورواه أحمد، وابن أبي شيبة، وإسحاق بن راهويه في مسانيدهم، والطبراني في معجمه من طريق ابن أبي شيبة.

قال في التنقيح: ومستلم ثقة، وخبيب بن عبدالرحمن أحد الثقات الأثبات.

والله أعلم.

ثم قال الزيلعي: حديث آخر: روى إسحاق بن راهويه في مسنده أخبرنا الفضل بن موسى عن محمد بن عمرو بن علقمة عن سعيد بن المنذر عن أبي حميد الساعدي قال: خرج ﷺ يوم أحد حتى إذا خلف ثنية الوداع نظر وراءه فإذا كتيبة حسناء فقال «من هؤلاء»؟ قالوا هذا عبدالله بن أبي بن سلول وموالية من اليهود وهم رهط عبدالله بن سلام فقال «هل أسلموا»؟ قالوا لا إنهم على دينهم قال «قولوا لهم فليرجعوا فإنا لا نستعين بالمشركين على المشركين» انتهى.

ورواه الواقدي في كتاب المغازي، ولفظه فقال: «من هؤلاء»؟ قالوا يا رسول الله هؤلاء حلفاء ابن أبي من يهود فقال ﷺ «لا ننتصر بأهل الشرك على أهل الشرك» انتهى.

قال الحازمي في كتاب الناسخ والمنسوخ: وقد اختلف أهل العلم في هذه المسألة فذهب جماعة إلى منع الاستعانة بالمشركين، ومنهم أحمد مطلقا، وتمسكوا بحديث عائشة المتقدم وقالوا: إن ما يعارضه لا يوازيه في الصحة، فتعذر ادعاء النسخ.

وذهبت طائفة إلى أن للإمام أن يأذن للمشركين أن يغزوا معه ويستعين بهم بشرطين:

أحدهما: أن يكون بالمسلمين قلة بحيث تدعو الحاجة إلى ذلك.

والثاني: أن يكونوا ممن يوثق في أمر المسلمين، ثم أسند إلى الشافعي أن قال الذي روى مالك أن النبي ﷺ رد مشركا أو مشركين وأبى أن يستعين بمشرك كان في غزوة بدر.

ثم إنه ﷺ استعان في غزوة خيبر بعد بدر بسنتين بيهود من بني قينقاع واستعان في غزوة حنين سنة ثمان بصفوان بن أمية وهو مشرك فالرد الذي في حديث مالك إن كان لأجل أنه مخير في ذلك بين أن يستعين به وبين أن يرده كما له رد المسلم لمعنى يخافه فليس واحد من الحديثين مخالفا للآخر، وإن كان لأجل أنه مشرك فقد نسخه ما بعده من استعانته بالمشركين.

ولا بأس أن يستعان بالمشركين على قتال المشركين إذا خرجوا طوعا ويرضخ لهم ولا يسهم لهم، ولم يثبت عن النبي ﷺ أنه أسهم لهم، قال الشافعي: (ولعله ﷺ إنما رد المشرك الذي رده في غزوة بدر رجاء إسلامه قال: وذلك واسع للإمام أن يرد المشرك ويأذن له) انتهى، وكلام الشافعي كله نقله البيهقي عنه. ا.هـ .

وقال النووي رحمه الله في شرحه لصحيح مسلم ج12، ص 198ـ 199 ما نصه: قوله: عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ خرج قبل بدر فلما كان بحرة الوبرة، هكذا ضبطناه بفتح الباء وكذا نقله القاضي عن جميع رواة مسلم قال: وضبطه بعضهم بإسكانها وهو موضع على نحو من أربعة أميال من المدينة، قوله ﷺ «فارجع فلن أستعين بمشرك»، وقد جاء في الحديث الآخر أن النبي ﷺ استعان بصفوان بن أمية قبل إسلامه فأخذ طائفة من العلماء بالحديث الأول على إطلاقه، وقال الشافعي وآخرون: إن كان الكافر حسن الرأي في المسلمين ودعت الحاجة إلى الاستعانة به أستعين به وإلا فيكره، وحمل الحديثين على هذين الحالين، وإذا حضر الكافر بالإذن رضخ له ولا يسهم والله أعلم. ا.هـ .

وقال الوزير ابن هبيرة في كتابه الإفصاح عن معاني الصحاح ج2 ص 286 ما نصه: واختلفوا: هل يستعان بالمشركين على قتال أهل الحرب أو يعاونون على عدوهم: فقال مالك وأحمد: لا يستعان بهم ولا يعاونون على الإطلاق، واستثنى مالك: إلا أن يكونوا خدما للمسلمين فيجوز، وقال أبو حنيفة: يستعان بهم ويعاونون على الإطلاق، متى كان حكم الإسلام هو الغالب الجاري عليهم، فإن كان حكم الشرك هو الغالب كره.

وقال الشافعي: (يجوز ذلك بشرطين: أحدهما: أن يكون بالمسلمين قلة وبالمشركين كثرة، والثاني: أن يعلم من المشركين حسن رأي في الإسلام وميل إليه، فإن أستعين بهم رضخ لهم ولم يسهم لهم)، إلا أن أحمد قال في إحدى روايتيه: يسهم لهم، وقال الشافعي: إن استؤجروا أعطوا من مال لا مالك له بعينه، وقال في موضع آخر: ويرضخ لهم من الغنيمة، قال الوزير: وأرى ذلك مثل الجزية والخراج. ا.هـ .

القول الثاني: جواز الاستعانة بالمشركين في قتال المشركين عند الحاجة أو الضرورة واحتجوا على ذلك بأدلة منها قوله جل وعلا في سورة الأنعام: (وقد فصل لكم ما حرم عليكم إلا ما اضطررتم إليه)، واحتجوا أيضا بما نقله الحازمي عن الشافعي رحمه الله فيما ذكرنا آنفا في حجة أصحاب القول الأول، وسبق قول الحازمي رحمه الله نقلا عن طائفة من أهل العلم أنهم أجازوا ذلك بشرطين:

أحدهما: أن يكون في المسلمين قلة بحيث تدعو الحاجة إلى ذلك.

الثاني: أن يكونوا ممن يوثق بهم في أمر المسلمين، وتقدم نقل النووي عن الشافعي أنه أجاز الاستعانة بالمشركين بالشرطين المذكورين وإلا كره.

ونقل ذلك أيضا عن الشافعي الوزير ابن هبيرة كما تقدم.

واحتج القائلون بالجواز أيضا بما رواه أحمد وأبو داود عن ذي مخمر قال: سمعت ﷺ يقول «ستصالحون الروم صلحا آمنا وتغزون أنتم وهم عدوا من ورائكم فتنصرون وتغنمون» الحديث.

ولم يذمهم على ذلك فدل على الجواز، وهو محمول على الحاجة أو الضرورة كما تقدم.

وقال المجد ابن تيمية في المحرر في الفقه ج2 ص171 ما نصه: (ولا يستعين بالمشركين إلا لضرورة، وعنه إن قوي جيشه عليهم وعلى العدو ولو كانوا معه ولهم حسن رأي في الإسلام جاز وإلا فلا) انتهى.

وقال: الموفق في المقنع ج1 ص492 ما نصه: ولا يستعين بمشرك إلا عند الحاجة.

وقال في المغني ج8 ص 414 ـ 415 فصل: ولا يستعان بمشرك، وبهذا قال ابن المنذر والجوزجاني وجماعة من أهل العلم، وعن أحمد ما يدل على جواز الاستعانة به، وكلام الخرقي يدل عليه أيضا عند الحاجة، وهو مذهب الشافعي لحديث الزهري الذي ذكرناه، وخبر صفوان بن أمية، ويشترط أن يكون من يستعان به حسن الرأي في المسلمين فإن كان غير مأمون عليهم لم تجز الاستعانة به.

لأننا إذا منعنا الاستعانة بمن لا يؤمن من المسلمين مثل المخذل والمرجف فالكافر أولى.

ووجه الأول ما روت عائشة رضي الله عنها قالت: خرج رسول الله ﷺ إلى بدر حتى إذا كان بحرة الوبرة أدركه رجل من المشركين كان يذكر منه جرأة ونجدة فسر المسلمون به فقال يا رسول الله جئت لأتبعك وأصيب معك فقال له رسول الله ﷺ «أتؤمن بالله ورسوله»؟ قال لا قال «فارجع فلن أستعين بمشرك» قالت ثم مضى رسول الله ﷺ حتى إذا كان بالبيداء أدركه ذلك الرجل فقال له رسول الله ﷺ «أتؤمن بالله ورسوله»؟ قال نعم قال «فانطلق» متفق عليه، ورواه الجوزجاني.

وروى الإمام أحمد بإسناده عن عبدالرحمن بن خبيب قال أتيت رسول الله ﷺ وهو يريد غزوة أنا ورجل من قومي ولم نسلم فقلنا إنا لنستحي أن يشهد قومنا مشهدا لا نشهده معهم قال «فأسلمتما»؟ قلنا لا قال «فإنا لا نستعين بالمشركين على المشركين» قال فأسلمنا وشهدنا معه ولأنه غير مأمون على المسلمين فأشبه المخذل والمرجف قال ابن المنذر: والذي ذكر أنه استعان بهم غير ثابت. ا.هـ .

وقال الحافظ في التلخيص ج4 ص100ـ 101 بعدما ذكر الأحاديث الواردة في جواز الاستعانة بالمشركين والأحاديث المانعة من ذلك ما نصه: ويجمع بينه يعني حديث عائشة وبين الذي قبله يعني حديث صفوان بن أمية ومرسل الزهري بأوجه ذكرها المصنف منها وذكره البيهقي عن نص الشافعي: أن النبي ﷺ تفرس فيه الرغبة في الإسلام فرده رجاء أن يسلم فصدق ظنه.

وفيه نظر من جهة التنكر في سياق النفي ومنها: أن الأمر فيه إلى رأي الإمام، وفيه النظر بعينه، ومنها: أن الاستعانة كانت ممنوعة ثم رخص فيها وهذا أقربها وعليه نص الشافعي.

وقال في الفروع ج6 ص 49 ـ 50 ما نصه: (ويكره أن يستعين بكافر إلا لضرورة، وذكر جماعة: لحاجة، وعنه يجوز مع رأي فينا، زاد جماعة وجزم به في المحرر: وقوته بهم بالعدو).

وقال الصنعاني رحمه الله في سبل السلام ج4 ص 49ـ50 على شرحه لحديث عائشة رضي الله عنها: «ارجع فلن أستعين بمشرك» ما نصه: والحديث من أدلة من قال: لا يجوز الاستعانة بالمشرك في القتال، وهو قول طائفة من أهل العلم، وذهب الهادوية وأبو حنيفة وأصحابه إلى جواز ذلك، قالوا: لأنه ﷺ استعان بصفوان بن أمية يوم حنين، واستعان بيهود بني قينقاع ورضخ لهم، أخرجه أبو داود والترمذي عن الزهري مرسلا، ومراسيل الزهري ضعيفة، قال الذهبي: لأنه كان خطاء، ففي إرساله شبهة تدليس.

وصحح البيهقي من حديث أبي حميد الساعدي أنه ردهم، قال المصنف: ويجمع بين الروايات بأن الذي رده يوم بدر تفرس فيه الرغبة في الإسلام فرده رجاء أن يسلم فصدق ظنه، أو أن الاستعانة كانت ممنوعة فرخص فيها، وهذا أقرب.

وقد استعان يوم حنين بجماعة من المشركين تألفهم بالغنائم.

وقد اشترط الهادوية أن يكون معه مسلمون يستقل بهم في إمضاء الأحكام، وفي شرح مسلم: أن الشافعي قال: إن كان الكافر حسن الرأي في المسلمين ودعت الحاجة إلى الاستعانة أستعين به وإلا فيكره، ويجوز الاستعانة بالمنافق إجماعا لاستعانته ﷺ بعبد الله بن أبي وأصحابه.

وهذا آخر ما تيسر نقله من كلام أهل العلم، والله ولي التوفيق وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.